مهداة الى الأستاذ توفيق الحكيم

الجـــائزة

للأستاذ محمد سعيد العريان

« فى القرن الثالث الميلادى ، فى عصر الملك (دقيانوس) الوثنى الطاغية ، خرج من مدينة (طرسوس) فى بلاد الروم ، بضعة نفر من المسيحيين المؤمنين ، فراراً إلى الله بدينهم من بطش الملك ، ثم لم يظهروا ولم يعلم عنهم شىء . . . وكان منهم وزير الملك . . . ! »
(أهل الكهف)

... ومضت ثلاثمائة سنة ، ومات دقيانوس ، وقامت دولة على أنقاض دولة ، ورفرف السلام على المدينة التى تخضب ثراها بدماء الشهداء فى عصر الطاغية دقيانوس ، وعاد الناس أحراراً فى دينهم وفى شعائرهم ؛ وعاش المسيحى إلى جانب اليهودى إلى جانب الوثنى فى طرسوس ، إخواناً متحابين ، لا يسأل أحدٌ أحداً عن دينه ولا يجادله فى مذهبه ؛ وانصرف كل لشأنه وحاجته

وجلس « صهيون بن يهوذا » إلى مكتبه ذات صباح بجانب النافذة من غرفته الواسعة المشرفة على الطريق وبين جنبيه همٌّ يعالجه ...

لقد كان صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى طرسوس ، ولكن شئون طائفته لم تكن تشغله يوماً عن شئون نفسه ؛ وكان مؤمناً مسموعاً بالتقوى والفضيلة ، عالماً مشهوراً بالاطلاع وسعة المعرفة ، مؤرخاً يروى عن السلف ويحفظ أيام الأمم ويقص ماضى التاريخ ؛ ولكنه كان إلى كل أولئك يهودياً من بنى إسرائيل ، يحب المال ويحسن تثميره وتربيته ... ومن ذلك كان أكثر همه حين يخلو إلى نفسه !

... وطال به الوقت وهو جالس إلى مكتبه يحسب ويعدّ ، ويقبض أصابعه ويبسطها فى حسبة لا تنتهى ، ويحصى ما معه من الدراهم وما سوف يأتيه ؛ ثم ابتسم راضياً ، ونهض عن كرسيه لحظة، ثم عاد بكتاب مخطوط فبسطه تحت عينيه وجلس يقرأ ...

ذلك كتاب قديم لم يقرأه أحد قبل صهيون إلا كاتبه نفسه ؛ وقد عثر به منذ أيام عند يهودىّ هرم من سدنة المعبد فاشتراه بنصف درهم ...

وأخذ يقلّب الكتاب صفحة صفحة وهو يقرأ عجلان غير متريث ؛ ثم وقع فجأة على خبر استرعى انتباهه ، وأيقظ شيئاً فى نفسه ، وأخذ يقرأ :

« ... وكان (مشلينيا) وزير الملك الوثنى الطاغية (دقيانوس) مسيحيًّا مؤمناً ، ولكنه كان لا يجهر بدينه عند مولاه ، وقد اتخذ فى داره معبداً لا يعرف الطريق إليه إلا صديقه (مرنوش) حيث يلتقيان كل مساء لعبادة الرب الأعظم ! »

وهز صهيون رأسه مبتسماً وهو يقول : « ما أبدع هذا ! » ثم عاد يقرأ :

« ... ووقف دقيانوس على سر ميشلينيا وصاحبه ، فثارت ثائرته ... : »

وخفق قلب صهيون بعنف ، إشفاقاً على الفتيين من ثورة الملك الذى لا يرحم ، واستمر يقرأ :

« ... وتوعد الملك وزيره بأقصى العقاب ، وضرب له أجلاً يفىء فيه إلى نفسه قبل أن يمضى فيه أمر الملك ويحل عقابه ...! »

وازدادت خفقات قلب الكاهن عنفاً وشدة ، وحضره ما يذكر من سيرة هذا الملك المتأله الذى خضب أرض طرسوس بدماء المؤمنين من رعيته كبرياء على الله ، فى غير رحمة ولا إحسان

ثم عاد الكاهن يقرأ :

« ... ولكن يد دقيانوس لم تنل ميشيلينيا وصحبه ، فقد

استطاعوا الفرار من بطش الملك الجبار إلى مكان لا يعلمه أحد ... كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة ... »

وشاع السرور فى نفس صهيون حين بلغ هـذا الموضع من قصة أهل الكهف ، وتمتم صلاة خافتة يشكر الله ؛ ولكنه استمر يقرأ :

« ... وبلغ دقيانوس نبأ فرار ميشلينيا وصحبه فغلى غليانه ، وسمى جائزة : مائة ألف درهم لمن يأتيه بميشلينيا حياً ... ! »

وبلع صهيون ريقه وأفلت الكتاب من يده ؛ مائة ألف درهم! يا لها من ثروة ! ليته كان فى عهد دقيانوس ، إذن لفعل كل ما يقدر عليه ليظفر بالجائزة ... الوثنية اليهودية ، المسيحية : ما كل أولئك بإزاء مائة ألف درهم ؟ ... الله ، المسيح ، دقيانوس ، ميشلينيا ؛ ماذا يعنيه من كل هؤلاء لو كان يملك مائة ألف درهم ؟ ...

وسبح صهيون فى أحلامه ؛ وهو يقبض أصابعه ويبسطها ، بحسب ما يمكن أن تغل عليه مائة ألف درهم ، لو ... لو أنه كان فى عهد دقيانوس ... !

وسمع فى الشارع زياطاً وضجة فأطلّ من النافذة ينظر ... ثم لم يلبث أن هبط مسرعاً إلى الشارع ليرى ويسمع ...

يالله ! ما أسرع ما وقعت المعجزة !...

ولم يصدق أذنيه أول ما سمع ... وعاد يسأل عن سر هذا الزحام والضوضاء ؛ وأجابه محدّثه : « يامولاى ، إنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة ... لقد عثر بهم رجل فى كهف على حدود الصحراء ... إنهم الفتية المؤمنون الذين يتحدث التاريخ أنهم ... منذ ثلاثمائة سنة ... »

ولم يصبر صهيون حتى يستمع إلى بقية النبأ ، لقد كان يعرف ما سيقول محدثه قبل أن ينطق ؛ إنهم آية البعث لمن لا يؤمن ؛ لقد ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عدداً ، ثم بعثهم آية ... ، ولكن ماذا يعنى صهيون من ذلك ؟... لقد كان الأمر يعنيه لو أن الله الذى بعث أهل الكهف قد بعث معهم دقيانوس ، ليسعى إليه فى طلب الجائزة التى سمّاها منذ ثلاثمائة سنة لمن يأتيه بميشلينيا حيا ؛ فها هو ذا ميشلينيا ، ولكن أين هو دقيانوس ؟

وبرقت له بارقة : وماذا يمنعه أن يطلب الجائزة اليوم من ملك طرسوس ؟ لقد مات دقيانوس ، ولكن حقه فى الجائزة لا يضيّعه موت دقيانوس ! ومن قال إن الملوك الذين خلفوا دقيانوس قد أبطلوا الجائزة التى سماها دقيانوس لمن يدل على ميشلينيا حيا ؟ إنها ما تزال حقّا شرعياً لمن يسبق إلى بلاغ النبأ ، لا يبطله أن دقيانوس قد مات ومضى على موته قرون !

ولم يتلبث صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى مدينة طرسوس ، يخلّف الزحام وراءه ومضى مسرعاً إلى قصر الملك ...

« مولاى ! »

وكان وزراء الملك من حوله ، فنظروا إلى صهيون يستمعون لما يقول ؛ واستمر الكاهن فى حديثه :

« ... سأدلك يا مولاى على ميشلينيا ، ميشلينيا وزير الملك دقيانوس الذى فر من طرسوس منذ ثلاثمائة سنة ، سآتيك به حياً ، والجائزة لى ... ! »

ونظر الملك إلى وزرائه ، ونظر الوزراء بعضهم إلى بعض ، ثم توجهوا جميعاً بأنظارهم إلى الكاهن يسألونه بيان أمره ؛ ومضى الكاهن فى حديثه ... ...

وقال وزير من وزراء الملك : « يا مولاى ، إنه أمر ذو بال ؛ لا أعنى حديثه عن الجائزة التى يطلب ، ولكن حديث الفتية الذين ناموا ثلاثمائة سنين ثم عادوا إلى الحياة ؛ إنها عظة الأجيال ، وآية البعث ، ويقظة التاريخ الذى طوته القرون . والرأى عندى أن يطلب مولاى إلى الكاهن صهيون أن يدعو هؤلاء الفتية لنراهم رأى العين أحياء يتنفسون ، ونستمع إلى حديثهم وما كان من أمرهم ... »

قال صهيون : « والجائزة ! »

قال الملك : « وتكون الجائزة لك ! »

* * *

وخرج الكاهن اليهودى مسرعاً إلى الطريق يسعى إلى الكهف لا يرى بينه وبين أن يبلغه غير خطوات معدودة ، ولا يشغله من أمر شىء إلا الثروة التى يمنى نفسه بأن تكون بين يديه بعد قليل. ومضى فى طريقه لا يحيي أحداً ولا ينظر إلى أحد ؛ فلما بلغ حيث

كان الزحام ، وجد الطريق خالية ليس فيها سائل ولا مجيب ؛ وأخذ السير يتبع آثار الجماعة إلى خارج المدينة وهم يثيرون الغبار وراءهم على مبعدة ؛ فأدركهم بعد عناء ...

وبدا له على مرمى قريب جبل قائم يشتد الزحام عند سفحه ، من كثرة يموج بعضهم فى بعض ، ويتطاولون بأعناقهم ليروا شيئاً لا يتبينه حيث يقف ؛ فاستجمع عزمه وراح يشق الزحام بكتفى جبار ، وفى نفسه شعور غامض يوحى بالحيرة والقلق ...

وبلغ سفح الجبل ، فرأى وسمع وعرف ؛ هذا كهف الرقيم حيث يرقد ميشلينيا وصحبه ، وحيث كانوا يرقدون منذ ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ؛ ضرب الله على آذانهم فناموا ما ناموا ، حتى إذا أراد الله أن يظهر آيته أيقظهم فترة من الزمن ليكونوا رسالة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، وحقيقة من التاريخ تنطق بالعبرة ، وموعظة ناطقة تتحدث بما كان وبما يكون . فلما بلغ الله بهم ما أراد من بيان قدرته ، ردّهم إلى التاريخ ليكونوا خبراً من خبره تتحدث به الأجيال .

* * *

وأطرق صهيون بن يهوذا لحظة يتفكر ؛ ثم لوى عنانه عائداً يشق الزحام وفى نفسه حسرة وألم ...

وعاد الناس جميعاً مطرقين برءوسهم يتفكرون؛ ولكن الخواطر التى كانت تصطرع فى رأس صهيون ، كانت تعدل مايصطرع فى رءوس الناس جميعاً أو تزيد . كانوا جميعاً يفكرون فى البعث والنشور والآخرة ، وكان هو وحده من دونهم يفكر فى الجائزة التى لا يجد سبيلاً إليها وكانت على مدّ يمينه ، لأنه لا يجد سبيلاً بعد إلى أن يصحب ميشلينيا حياً إلى قصر الملك !

« شبرا » محمد سعيد العريان

- انه افضل كريم لحلاقة الوجه . لأنه يرغي بمعدل ٣٠٠ مرة
- انه لاينشف على الوجه بل يجعل الوجه طرياً ناعماً للحلاقة
- ان فقاقيعه تجعل الشعر ينتصب فتمر عليه الموسى وتحلقه بسهولة
- انه هو الكريم الوحيد المركب من زيت الزيتون وزيت النخيل . لذلك يشعر الانسان بلذة بعد انتهاء الحلاقة